إضراب عن الماء

الناشـــر

مؤسسة حورس الدولية

للنشـــر والتـــوزيـــع

١٤٤ ش طيبة سبورتنج - الإسكندرية
ت ٥٩٧٢١٧١ - فاكس ٤٩٢١٢٨٤

الطبعـــة الأولي

جمع كمبيوتر : نجلاء فتحى

كمبيوتر جرافيك : أحمد أمين

رقم الإيداع بدار الكتب: ٩٩/١٧٩٨٨

الترقيم الدولى I.S.B.N
977 - 5902 - 31 - 2

مهدی بندق

إضراب عن الماء

شعر

مواسم الجفاف

رصاصةٌ أطلقتها

تجاه ذئب الوادى

فغيّرتْ مسارها واخترقتْ

من تحت سرجى ـ فجأةً ـ جوادى

* *

الوردةُ التى كتبتُ فيها الشِعر ذات يوم

رفيقتى فى الصحو أيام الصبا

غلالةُ الأحلام عند النوم

سمعتها بالأمس تشهق من ورائى

يا ويلتى ، لعله حذائى

لعلنى وطئتُ بالحذاءِ جسمها الفتىّ

وما انتظرتُ لحظةَ احتضارها ..

ما بين ساعدىّ

وانما انطلقتُ فى الطريق بالسيارة

لأدرك الميعاد عند سيدى

رئيس مجلس الادارة

* *

تقول لى شقيقتى النَعامة

خنّاقةُ الأطفال في أزقة التشرد والندامة

إن الكنوز خلف هذا القائم الجدار

حرّاقة للنفطِ

فرّاقة للرهطِ

قتّالة للمسلمين الطيبين

والطيبين القبطِ

وما لهذى الدار من أنصار

تقول لي وكأسها تفور بالشماتةِ الإعصار

إن التي ناشدتُها الوصالَ ليلة الزفاف

ستكشف القناع عن عدو

وإن هذا النهر في الرواح والغدو

قد صار شيخًا فانيًا

لو يلمس الضفاف

لانكمشت أثداؤها وانبقعت ظهورها
فضاجعتها فى المدى مواسم الجفاف

* *

قصيدة تهز فى المخاض جذع النخلة البليدة
فلا يرى وليدها المنفوسُ وجه النور
وأن رآه لمحةً فى هامش الجريدة
أعرض عنه القارىء المعابث
منتقلاً بوجهه المخمور
لصفحةِ الحوادث

رحلة الدم

هذه الأرضُ ليست تغير باب الخباء
فيدخُلها من يشاء
بينما بَعْلُها البرق يرقد منتظراً فى الزنازين
يلعق قرميدها الدمويّ
بينما القابضون على الجمر عروتُهمْ
ليست اليوم وثقى
فانطفى يا شموس القبائل إن الدياجير خير وأبقى
والجلوسَ على حربةِ السّيدِ الأجنبيّ ..

قيل يمنع عنا سقوط الجدار

والذى يمنح الناس أجسامهم أن يسيروا بدرب الفرار

فانطفى يا شموس القبائل إن الرغيف المغمس بالدينْ

تقتات منه الطيورُ فتزداد رَهْقا

وفى الغد تنشقُ منها الحواصل شقًّا فشقًّا

فانطفى يا شموس البلادالتى بدلت بالسيوف

طلاء الأظافر

وانطفى فالنبالةُ حين تبدل فى السوق لا تستعاد

والليالى التى ليس يلزم فيها الجنودُ الحدودْ

مرقصٌ لنجوم السواد

فمتى الرعد يطمس هذه العيون التى

التمعت فى تراب العفن

بين أغنيةٍ للخلاعةِ أو سهرةٍ للوضاعةِ أو

سجدة بالخداع

قيل لى إن هذا الذى كان أمس عدوى

صار لى صاحبًا .. وأخًا فى الرضاع

فانطفى يا عيونى فإن العماء خليقٌ بِكُنْ

مذ رضيتن وجهَ الوطنْ

سلعةً ... تشترى أو تباع

* *

زلزلت هذه الأرض زلزالها

ثم أخرجت الأرض أثقالها

ألف عاصفة ترفع الآن أذيالها

فالقريب اختفى والغريب المشمرعن ساعد

الذبح منهااقترب

خلفه البوم يدعو الزناةَ لتقبل من كل حدب
«كل من يملك اليوم خنجره
في حشاها إذن فليثب»
رفعت جدّةٌ في البلاد البعيدة مذعورةً رأسها
(لم تكن من عشير العرب)
غمغمت : فلأمتْ بالرصاص الذى يطلقون على الأبرياء
والصغارُ يقولون : جدَّتنا ما لها
كيف يُنْبِتُ من صُدْغها الحزنُ زنبقةً للدماء
والذراعُ التى طالما ضمت الوجه منا
- إذا نال واحدُنا صفعةً فانتحب
والشفاهُ التى امتلأت بالحكايات حول
المدافىء والكستناء
والعيون التى ادعت اللوم باسمةً

لو أطلنا السهر

كل هذا يصيرُ زجاجًا على قلبنا ينكسر

هذه أمنا أم ثرى كوكب ينتحر ؟

أم بحارٌ ستلقى بأمواجها فى الفضاء ؟

أم جبالٌ سترحل باكيةً ثم تهوى على وجهها
فى الرغام

إنها آيةُ اللّه حين سيمنع عنا عطاياه ... ،
خبزه .. شمسهُ ، والمطر

بعدها لن نصير شيوخًا من الطيبين ولا
سوف نبدأ أصحابنا بالسلام

لن نصلى أو نلمس الركن عند الحرم

وإذا قيل من مسلمٌ بينكم

لا دَّعينا - من الخجل المتبقى - ضياع بطاقاتنا
فى السفر

هل ترى تورقُ النار ثانيةً فى غصون الجليد
شاطىء القلب نعرفه أم ترى ظلمةُ الدمِ
تمضى لأيْن
نحن فى كربلاء الجديدةِ مَحْضُ سؤالٍ جديد
والجوابْ :   الحُسَيْنْ

* *

إضراب عن الماء

هو الماءُ

أرمقه بعيون الظمىءِ

فيرمقنى بعيون الجماد

فهل حين يلثم منه اليدين فمى ..

سيخفق مرتعشًا كالفؤاد ؟

وحين أربّتُ غُرَّته فى خليج الدمِ

يحمحم للجرح مثل الجواد ؟

* *

أنا ..

كدتُ أنبيك يا ماءُ عن غيبة الوردِ

وكيف احتفى بالغياب القتاد

وأنبيك عن ثبجِ النيل كيف تغضَّن

وكيف ارتدى دجلةُ اليوم ثوبَ الحداد

أنا كدتُ .. لكن صوتى عنك احتبس

لأنى رأيتك تنساب من دورقِ الكذِبْ

نحو شفاهِ الخرس

لتقبع فى الحلق مستتراً بالظلامِ

تدبّجُ عن نبض قلبىِ التقاريرَ ..

مثل العسس

* *

فهل أنت مازلت ماءً يوضئنى إذ أصلى ؟

رفيفَ ندى العشب يدعو الرشا ؟

وحُلْمَ الصبا ليس يرشو ولا يرتشى ؟

ورايةَ قلبى التى لا تنكسْ

ولو غشِىَ الأفْقَ لفحُ السموم

فضاق الفضاءُ به وغشى ؟

....

أرى لك نفس القوام وذات الإهابِ ، وعين السماتْ

فكيف تحولت فى داخلى

وأصبحتَ كفًا لجمع الهبات ؟

وصرتَ تطارد برق التجلى

وتَنْزِعُه من جفون الفرات

لكى لا يعوق « المرور البرينا »

* *

إلى نُطفِ الأسْرِ أسماءُ كل العرب

وأصداغهم - فى الأجنَّةِ - مختومةٌ

بالزنادْ

ومن دلهم القيظ تحت سوافى الجدب

سيزدرد الصبية الجائعون ثريد الرماد

فتلك جواريك يا ماءُ فى حيضهن الضنين

سينجبن من رُغْوةِ الفيلقِ الأجنبىّ

صغارا من القُمُّلِ السارقين

يبيعون أمَّاتهم فى العشىّ

ألست برغم لهيب الحشا

زلالا تثلجت عند الدوى

ومن كأسك الجنرال انتشى

وأنت هنا فى ديار النبى

هجرت الحسين ،

وقلت : أمية ليست تشا ؟ !

* *

سيمنحك الجنرالُ علاوةَ حسم القضية

فأنت غسلتَ له أيها الوشلُ جوربَهُ ،

وملابسَهُ الداخلية

لكى يتفرغ للقتل منتعشًا منِعشًا

بساحتك العائلية

* *

دع الآن جثمانيَ الشائه المقبضا

على الصحراء بغير اغتسال

فما قيمة الغُسْل بينا دعاءُ المعزين

يصعد مبتهلا للفضا

- سقى الله أهل العروبة نفط الرضا

وأسكنهم بيته الأبيضا

ورقى الجميع بغير قتال

إلى رتبة الجنرال .

مسافر إلى كوبنهاجن

مِدادٌ صرصرٌ يجرى

بموج نافذ الأمرِ

لطمتُ به سفين الأهل إذ وقفتْ

فأهدى القاع لى قبرى

* *

مداد خلفه المرآة حين تضىء انطفىءُ

وبينا الحزن يقتلنى
تطالعنى بصفحتها سماتُ تنثر البشرا
فكيف تْخلّطت فينا عيونٌ لا ترى شبرا
وأذرعة تعظم باليمين الشلوِ
من شلّوا لها اليسرى ؟

* *

مداد كان لى خِدْناً بجنح الليل محتشما
فما بال الفتى عند الضحى يعرى
يشد الأذن يعذلنى :
- ألم ننهك عن الغوغاء
إذا ذكروا الوغى جهرا

وعن وسواس رايتهم

إذا ما رفرفتْ سرا

وعن شعر يثير النقع فوق

موائد النُخَبِ التى اتّزَنَتْ

أقول :تريكة غنت برحلتنا علي رغمى

لفرخٍ يُطلق الأسرى

فقال : مضت

وصارت للفتى العبرىّ قُبَّرَةً

ترتل آيةً أخرى

* *

وقد رقَّ الزجاجُ لها ورقَّ الشاربُ المذهول

ورقَّ لسيدٍ قنُ

ورقَّ لقاتل مقتول

ومسروقٌ لسارقه

وعصفورٌ لثعبانٍ

وبستانٌ لمن سكبوا عليه النفطَ يوم النار ما ضنوا

فودِّعْ أيها المزنُ

صحاريك التي استغنت عن الغيثِ

فما أنت بركب الريح إن تدنُ

سوى ذكرى بقلب غير مكترثِ

* *

مداد قاطع فينا أطعنا أو أبينا

يفتت لحمنا المسلوق فوق الخبزِ

يلقيه إلى السِنّوْر

إلى القطط التى تمشى الهوينى

فندخل فى حياض قُثَيْمَ أشباحًا مفاخرةً

نزارين لا نرضى بغير نزار أشرافًا

ومعديين ، كفَّرنا ـ سوى مَعْدٍ

وإن جاءوك أحنافًا

وكلبيين منتصرين (بالأقوالِ) أسلافًا فأسلافا

وفهريين ممتشقين للأعمام والأخوالِ أسيافًا

فَقَرّى يا جماجمنا ألا قَرِّى بنا عينا

رضينا بيننا البَيّنا

وبالأعداء أحلافا !

عائدٌ من كوبنهاجن

لطائرةِ العال سبعُ فوائدَ أولها :

« أنْ عفا الله عما سَلَف »

والمضيفةُ قارورةُ العطرِ

تَسقى نبيذَ المصالحةِ الكوكبية

فشبت ظلالُ المراصدِ فى مقلتىّ

لتستقبلَ الضوءَ من نهدها المنعطف

وكان طِلاءُ الأظافر مفتتحًا

لكتابِ "الأنا المختلفْ"

جواربُها الجُلّنَارُ على الجسرِ

والجسرُ أعبرُهُ للخميلةِ تنكشفُ "البنيويةُ"

رأيتُ الحداثةَ عاريةَ الظهرِ تصعدُ من قاعةِ

الاجتماعاتِ تغمز لى

وتسلِّمُنى مفرداتِ الحوارِ الذى ...

سيُسجِّلُ فى غرفةِ النومِ

ثَمَّةَ أجهزةُ السَّحْبِ

معجزةُ الشيخِ حين يعودُ إليه الصبا

فيرشق رمح الرضا

فى لحاءِ الهدف

* *

وطائرةُ العالمِ مدرسةُ الواقعية

غلامٌ يجندلهُ مائة من رجال شداد

فقلت لنفسى : الحيادَ الحيادْ
لعلى أفوزُ بجائزةِ الأدب العالمية
ولكن قائدهم صاح بى : أنتَ مَنْ ؟
فقمتُ لألطمَ وجه الفتى المحتقنْ
وغمغمت والريح ترفع أذيال محبوبتى اللندنيَّةْ
- أليس الصوابَ اتفاقُ المثقفْ
مع الأغلبيَّةْ ؟!

* *

لطائرةِ العالِ مقدرةٌ أن تطيرَ إلى الخلفِ ،
تخطفُ أسطورةً من مَذِيق السحابِ ، وتعجنُها
بدقيقِ البداوةِ ثم تقدِّمُها لحفيدِ الفراعين

يلعقُها شاكراً وينامُ

وإنى أرانَى فى النومِ تخمشنى قطَّةُ الحوبةِ

المستثارة

بينا يُسَرْبلُنى معطفُ الفضلاتِ التى زَهَدَتْها

البطون

فمَنْ ذا الذى سوفَ يأتى بصقرِ التفاسيرِ

يرشدُنى ؟

فاستعاذوا وقالوا :

- رميناهُ بالبينِ

«إنا إلى نفطنا راجعونْ »

وطائرةُ العالِ تعرفُ كيف تأولُ ما راوغَ

اللبُّ ، قال محركُها :

ـ تلك عقدةُ أوديبَ معكوسةٌ

سوف تهتكُ عرضَ ابنتيك ،

وتذبحُ طفلك في المهدِ ،

فافقأ عيونَكَ مستسلمًا للمفاوضِ

إن لك التيهَ من

شاطىء النيلِ حتى الفراتِ الحزين

* *

سحابٌ يُحاطُ به ، وسحابٌ يُحيط

و «يَهْوا » يفضل طائرةَ العالِ منذ القِدمْ

فقلنا : إذَنْ نحنُ أبناءُ عَمْ

فقالوا : لنا العجلاتُ وأنتم ممرُّ الهبوط

لنا الأمنُ نأتى ونذهبُ عبرَ الفيانى

وأنتم لكم سمك القرشِ فى كل يَمّ

وقالوا وقلنا

إلى أن ختمنا الحوار

فهيًّا نُعدْ لهم صالة الزائرين الكبار

فليس يفتشهم جمركٌ عربيٌ

....

رواه لنَا الطبرىّ

إعدام الشاعر عماد الدين النسيمي

لم أضع مصحفاً فوق رمحى الدمشقىِّ قط
غير أن الزمان اللئيم
سار بى ليسار الشطط
الذى دار ثم بشحم اليمين اختلط
وأنا قد تبينت فى محنتى
أن شر الأمور الوسط
فـإلام سأمضى ببحر الشقاء العميم
ومتى سوف ترسو سفينى وهذى رياح السموم
تجلب الصخر يهوى على كل شط

ياإخوتى عودوا إلى الأرحام إن الشر عم
اليوم يأتى الحُر بالمملوك يُسْلِمُه الرقاب
مستبشراً بحسامه الأعمى الأصم
اليوم تقتل كل أنثى زوجها
ويطارد الأبناء والدهم إذا بلغ المشيب
ويطلقون وراءه الكلب العقور
لا تحلموا بالحب إن الحبَّ وهمٌ ،
والمظالمَ غايةٌ ،
والعدلَ موسوم بآلاف التهم
لا عدلَ إلا فى القبور فإنها
لقهمة الحرمَان بالقسطاسِ تملأ كلُ فم

* *

جاء « المؤيدُ » بالزمان الملتبس

الشمس فى كفيه قنبلة يخبئها الدمقس

فتيلها الفضى طابور إغتيال كلما دار الحرس

و الماسة الخضراء فى صدر العمامة إن تمس

تكن دليل المرتشين وقلعة لمن اختلس

ليست عصافير الشروق بقصره إلا الأفاعى

فى الغلس

ليست زهور الأيك فى إيامه إلا

إبار العقربان الظامئة

وأنا إعتزلت الشيخ لكن لم أزل أحيا

جوار المرجئة

فرأيت سيف أميرنا "الظل الظليل"

يُجرى دمانا فى الثرى قبل اقتراف السيئه

ورأيت أمى شيخة مذعورة تعدو

فينفجر النجيع بساقها قبل الرحيل

ورأيت زوجى فوق مائدة المغول

ترنو إليَّ ذبيحةً حية

ورأيت طفلتيَ التى صارت عروسًا منذ عام

فى قصور الروم عاريةً سبية

ورأيت رايتنا التى كانت ترفرف فى سماء الله

اليوم مطوية

ورأيت قابالاً يُعدُّ ونجمةً بالموت تبزغ

فى الظهيرة خلف شمس تستقيل

بينا صريع الغانيات يطارد الخصر النحيل

بينا جرير الفحل يهجو لايزال مجاشعًا

وحَبّيشَ ، والشعراءَ جيلاً بعد جيل

بينا يزيدُ وقردُهُ ..

يتسابقان على ظهور الخيل أو

يتراهنان على رقيم النرد أو

يترقصان على الطبول

وأنا أصفق للأمير وللرقيم وللقرود وللخيول

فقمت تضرعت للشعر أسأله أن يشد يدي

فاعرض عني مليّاً وحين اطمان إليّ

سرى بي إلى عتبات النبيّ

بكيت على كتفيه وصحتُ :

قريش الجديدة تعبد أوثانها

باسمك اليوم يا سيدي

فمس جبيني بصوت شجيّ

وقال : على الكف منك حروف الكتاب الحكيم

وقال : ألف . لام . ميم

وقال : ألم تأخذ العهد من يدنا فى القديم

وقال : ألم تك أنت شهيد المقام

هتفت : تخاف الجوارح سكرته لاتفيق

ومرتعب يارسول البرية هذا الشهيق الرقيق

فقال : الغروب وإن لم يبح عين هذا الشروق

وأنت إذا غاب بعضك فالكل يملأ منك الطريق

* *

نظرت إلى سر ربى الذى خُطَّ فوق الأكف

فإذ قشعريرة روحى تقر وأجناد قلبى تُصف

فأطلقت سرب القصائد تجمع من شردوا فى القفار

ومن غُيِّبوا فى صميم الديار

ومن مزقتهم سياط السغب

فأرسل مملوك مصر يقول

صليب النسيمى منتظر في حلب

وشكّل محكمة من قضاة الدواوين ،

أحكم عروتهم ثم شد الرقاب لعجل الذهب

فجاءوا بقلبى وهم ينصبون الشراك

سئلت : لماذا تثير الرعايا

ومن حرضوك لتورد هذى البلاد الهلاك

هتفت : امتحان الضرير لمن يبصرون انتهاك

فألقوا عليَّ العصى تهشم عظمى حتى التلف

وتشعل فى عورتى النار تأكلنى من أمام وخلف

وحين تهدل لحمى وسال دمى كله من عيون الخلايا

دعيت لكيما أصلى

(وهل كان في قدرتى أن أقف)

فصاحوا : ألست الذى قال إن ابن آدم عين الأحد

وإن به قدرةً لاتحد

بكيت : هو الله حين النسيميُّ رد

ولكنكم تطلبون انتهاك النواميس ،

إن انتهاك النواميس خُلْف

يصيحون : هذا هو الكفر حرفا بحرف

وها هو ذا اللسان اعترف

وجاءوا بجزارهم يسلَخُ الجلد من قمتى للقدم

وأفتوا بأن دمى نجس إن يلامسه دَهْم

فليس يطهر إلا بنار تُحَمّ

فطارت من القلب آخر نقطة دم

هوت فوق إصبع قاضى القضاة
تأملها وابتسم
وأفتى بأن قليلا من الماء يكفيه ثمّ

* *

سألت بحشرجتى عن رفاقى وكانوا
على الدرب لا يبطئون
فقيل : تفرق ماء السحاب الضنين
فمضوا يائسين
يا ....سين
و القرآن الحكيم
إن النسيمى للحق كان من المخلصين

وإن اليمين لعنقاءُ تلتهمُ الناس فى كل حين

وإن اليسار لحسناءُ ثائرةٌ إنما

فى المدي تستكين

و إن الذين يسيرون بينهما

ُيساقون للذبح لا يعلمون

فسبح بحمد الذى كان فينا

وسوف يكون بنا حين نعلم علم اليقين

فمن غيرنا سوف يرفع هذا العذاب الأليم

* *

وردة الرضا

الاثنتان فى العراءِ الطالع اقتتلوا

والإثنتان للنعيم إن أتى الاجلُ

فمن تكون الفئة المدانة

تساءلى حراجفَ الميلاد أو حواصبَ الموتِ

وانتثرى بصرصر البهتان

وفرقينى كلما إتحدتِ

ولونى فسيفساءَ الروح بالألوان

تساءلى تساءلى

فقد بَنَى القُلامُ بالقرنفلِ

وأجترع العشاقُ من مزارب المقتِ

وأدرك الكواعبَ الذبولُ دون

خاطبَ يَرَينْ

يهتفن أين تاجر الرقيق

و المشترون أينْ

وقابلاتُ الريح نحن لم نزلْ

نعض فيما بيننا مشيمةً لم تنزلِ

تسا ءلى تسا ءلى

ولتصقلى الإهاب كالسجنجلِ

لتبصرى الذى أتانا من تراب النطفة

فألبس الرجال فى الدجى ملابس النساء

وجمد الأفعال فى حروفنا

وأحرق الأسماء

* *

تساءلي عن عشقنا لهذه النخيسة المزدلفة
تلك التي أهدابها من ناطحات الْمُزْنِ
وأنفها في بئرنا مغموس
تلك التي شُعورها عناكبُ ،
وبطنها عقاربُ ،
وظهرها من سوس
تلك التي تجتث من أشلائنا المرتجفة
لتطعم الكلاب والضباع والتيوس
* *

حبيبتى الأتانُ ظهرها للسامقين القِلَّه
قَبَّلتُ منها الذيل ذات مرةٍ ،
فاستنجدت بأهلها الأشاوش الذين
يربتون منكب العدو عند الجولَة
ويملأون أكؤس اللصوص تارةً ،
وتارة يهنئون الداخلين من وصيد السِفْلَهْ

* *

نحن الضرائك الذين لم يروا

سوى دروب البينِ بينْ

مسهّدون والليالى لم تُحط بسُهْدنا خُبْرا

ونائمون نائمون فى صباح البين

وهذه عظامنا لماَّ تزل

على سفود الفتنة الكبرى

يشوى عليها لحمنا المعسكران

و هذه رؤوسنا مصائدُ

يلهو بها الفئران

وفى الدما نغيلة ألقت بها الذكرى

نحك فيها جِلدنا موافقين أو

نحكه قسراً

* *

فى ليلة لمحت فى الرياح وردة الرضا

تابعتها بالنظرة الحسرى

فغمغمتْ :ميعادنا زعازعُ السيلِ

لنكنس الملامح الجبانه

سألتها : فمن تكون الفئة المدانة

فلم تجبنى و اختفتْ

فى مُرْزمِ المَحْلِ

* *

هل جفت الأقلام

وابيضت العيون فى الصحائف

مذ عرّت السوءاتِ منا هذه الطوائف ؟!

كيف أخطأنا فؤاده ؟!

لم يكن قومىَ الأوسُ أو

خزرجيو المدينة خصمى

والسقيفةُ زخمُ البداوة تنذرنى

باستعارِ الودائقِ

ما بين فحم الكلاء ومحترق العندمِ

وأنا دولة الظلِ ،

أقبيةٌ لا تُرى فى النهار

فهمستُ له:

إن دجْنَ الطوارىءِ يحقن للقومِ

قيظَ الدمِ

قال : بيعتنا فى الظهيرةِ ..

نحن لغير الظهيرة لا ننتمى

قلتُ : عصرُ الطوارىء يأتى

وكل العصور طوارىء

فاستطرِء الآن أو فاندمِ

... ...

... ...

* *

وانتبهت إلى ذلك الشرطِ

(منه اشتققت اسم ديواننا الأبديّ

وألحقته التاء مربوطةً للأبد

واستللتُ له السرَّ من عبقريِّ الخرافاتِ

سهمين فى قلب سعدْ)

قال مرتعشًا بإباء الضياغم : كيفْ

قلت : يا سيدى

عدلُك التاجُ

إيمانُك الصولجانُ ،

ودرتُك المستقيمةُ دُرتنا

لا يوارى ضياها الصدفْ

إنما أنت صبح و إنى أنا اليل إذ ينتصفْ

فاستغفر الله إن مات جَدْىٌ بطفِ الفراتِ

ولكن .. دعِ الدفن للمحترفْ

بعدها قد دخلت القلوب أفتشها

وأطارد أغصان أشجارها

باحثًا عن رسوم الصبا والكتابة ،

أوراقها الخضر أنقلها لليَبَسْ

وأصادر نبضاتها النافرات لكى

يستتب النظامْ

فلماذا أرى دمعها البكر يخدعنى

فى الزنازن مستسلمًا لأكف العَسَسْ

بينما العين تضحك الشمسِ ،

حين تعرّى الذراعَ

وتنزع عن ركبتيها جواربها

ثم تلقى عن الخَصْرِ قائمًة -

طيلسانَ الغمامْ ؟!

نكّس الهامَ أعوانىَ الجنُّ ، صحتُ :

ـ كل هذا المرانِ ونخطىءُ

رميةَ سهمينِ

فى قلب هذا الغلامْ ؟!

* *

إلكترا تركب الحافلة

فى حافلة العود المكتظة

صاح بى السائق ألا

أقترب بجسمى فى عُهْر

فهو كما قال

مازال بماء وضوء الظهر

* *

كانت تلك التهمة باطلةً فظةً

فتراجعت مروعةً بضعة أقدام

أتحسس فى إصبع كفى اليمنى

أثرَ الحلقة

* *

سافر محبوبى منذ ثلاثة أعوام

كى يجمع - يا قلبى - ثمن الشقة

والأمس

قبيل الفجر الجافى

حادثنى بالهاتف عند الجيران

يفسخ خِطبتنا .. فى رقة

والحافلة ترجرجنا فوق الأسفلت المكسور
تدفعنا كى نتعانق فى بغض عجلان
فالتصق بظهرى جارى الموتور
والتصقت ساقاه بأردافى
واشتد إلى .. خاتمة الجولة

* *

لكنى
لم أتبين كارثتى إلا
حين رجعت إلى غرفتنا المتساندة الجدران
كانت أختى

«من نسيتْ موت أبينا فى حرب حزيران»

ترقص وهى تردد أغنية مبتذلة

فخلعت ثيابى الضائقة بجسمى

كانت ـ من خلفٍ ـ مبتلة

* *

بعد عشاء الزيتون المغتم

رأيت جدائل شعرى تتساقط لا تلتم

وعظامى تتكسر تحتى

عارية تخترق الريح البوابات إلىَّ

والثلج يحاصر عاصمتى

وجيوش النمل ترابط فى قدمىَّ

كان شقيقى فى نوبته الليلية

بحرس أعدائى أبناء العم

فدعوت بقلبى ألا يأتى

ليت شقيقى لا يأتى

ليب شقيقى لا يأتى

* *

فى مقام الباز الأشهب

رابة للتخلى

أم رؤى سبسبٍ

من أريج ورِىّ

وإذا ما التقينا

يتوجنى بعرار التجلى

أم سيُلقى إزارَ التَّقيَّةِ فوق الجسد

مبقيا عنقى سالما للعشَىّ

محنيا سرحة الكبرياء به للأبد ؟!

شدنى فجأة ،

صحت : من مُرْجلى عن أتانى

قال : إنى أنا

مرْجَلُ الصحو يا من أتانى

قلت : ما جئت لكن

جُذبت لعلّيِ

قال : نحو المقام العليّ

قلت : دربك فرعان ،

أسلك أىّ

قال : شِعب التفرد ،

إنك أنت المجلّيِ

قلت : والشَّعْبُ ... ؟

قال : ذاك المصلّيِ

قلت : أرض السباق يقسمها

السبعُ

والضبعُ

والمضرحيّ

قال : تعلوهمو

لو تخففت من رهطك المثقلِ

لو رميت عن الظهر سرج الحسب

واختفى تحت رعد الحوافرِ

وَهْمُ العمومةِ ،

ظنُ الخئولةِ ،

هب أن «بُرْداً»

أتى بيت أمك بالأجنبيّ

ثم عاد حليلا لها بعدُ

هل أنت منتسب للعرب ؟

* *

غَزِيَّةُ ، تلك التى غير حمأتها

لم أولً

إذا ما طرقُت أزقتها المرمده

يعانقنى المقتْ ،

بين ذباب الشهيق

وإن جئتها

من وصيد بساتينها المرمىَّ

أرانى نصفين .. لصينِ

يقتسمان دماء العشيرة بالمائده

غزيةْ ،

لو جئت أوقظها همسةً فى الدوىّ

تثور وتنفخ بُهْرَ السعير علىّ

وإن قلت دعها بجرع السبات إلى

أن يحم القضاء

غدونا معًا ـ للأطالسِ

وَجُبْتَها فى العشاء

أصيح : فهذا العذاب الجحيمىُّ

ما سرهُ

قال : محض عطاء

* *

والتماسيح تحتى بنهر الأكاذيب ،

والصِلُّ فوقى ؟

وتلك يدى يأكل النمل منها

وغصنى يؤرجحنى فى الحراجيج ،

يُدخل نصلَ الخيانات ِ فىّ

فما الغوثُ

ماذا يكون ؟

قال : حين تجىء لفك الكمين

قلت : شعر وربك كل المقامات

والعارفين

قال : ما الشعر إلا ابتداء

إنما

إن محوت المديح الهجاء .

والهناء والعزاء

والقنوط الرجاء

والعيون التى طرفها حَوَرٌ

ثم مزقت عنك الرداء الرياء

تبصر العينُ منك الذى ليس يَبْلى

صحت : تلك غزية ،

بالشعرِ

والنثر

والفقرِ

تَصْلى

قال : وحدك

فلترتق الطور قبلا

قلت : شعبى معى أو فلا

قال : فاحصد رياحك

حقلاً

فحقلا

...	...	...

...	...	...

...	...	...

وها أنا

أبّدلُ الإيقاعَ ،

أرجزٌ أو أدارك

لعلنى .. وهذه القبيلة الضليلة المسالك

نبلغ ما بلغت من مقامك المجدِ

فما أنا سوى غَوِىٍّ

إن غوتْ

وإن أتاها الرشدُ يومًا

أرْشُدِ

* *

موج الجمر

وليلٍ ،

مثل موجِ الجمرِ

لا يُعطى

سوى الأشلاء تهوى

فى فم النفطِ

له بالشط عنقا مغرب

وكهانةٌ ،

مسنونةُ الإفتاءِ

تمرق فى السفائنِ

لو تجىء بأشرع القسطِ

وغِسلين على رمل الظماءِ

يمينهم ،

ومن اليسار ،

وفى مدى الوَسْطِ

وقطعان تُعار إلى مضارب «منشمِ»

وثَمَّ «مناةُ» ترمى السهم لا تخطى

ظلامٌ ..

شاهقٌ ...

ينداح فى شريان هذا الليل من

شمراخه للقاع

فأين الشمس تخرج من سرير العشب

عارية الذراع

يدغدغ شَعْرُها البرئُ جفنىْ

بعلها البحرِ

وتنهض ..

كى تعد شطائر الأطفال باسمةً

تشد قميصها الغزلان عجلى ، والعصافيرُ

فأين الآن مطلعها المندى

بارتعاشات الأريجِ

... ...

تقول نعامة عوراءُ عاويةً

قتلناها

وألقينا بجثتها

على جسر الخليجِ

بوادٍ غير ذى زرع

رمانى

وقال لمن على فمه مناهل من مسيل دمى

«ليخ لخا

فمبيت أفيخا »

وأنكرنى

لأن الغيظ أفرخ فى إهابى

ببيضة الفحمِ

فأعطى الكنز للسفهاء من قومى

وأقصانى

وجاء الدهمُ

ما أستنصرتُ

وما قال الفوارسُ ويك فتلقمِ

وقيل الحرب تبديدٌ

وقيل السلم تجديدٌ

وقيل الكنز يُقتسمُ

فغازيهم

له التقطيعُ

والتجميعُ

والتصنيعُ

والقممُ

(وفيه الخصم والحكمُ)

لهم :

قصرٌ

ومقتصرٌ

وفى الشهوات منحصرٌ

ولا مستقبل لهمو

ولى

من أمى الشمطاء ركلتها

تدحرجنى على التبه

وهل ترجو حمايتها

بأبطال من الفقراء

وقد صارت مدافعها

تلال العملة الصعبه

وصارت عبلةُ البيداء تركب

ناطحات المزنِ ،

ترد الغزو للأعداء تنصف منهمو «ضُبَّه»

فحصن العطر تفتحه

وتفتح قلعة الأزياء

وتأتينا بأسرى الحلي تذهلنا

بأشكال وألوانِ

فكيف إذا أتيت لها

بحُمْرِ النوقِ

ترضاها

وترضاني ؟!

* *

أنا خاصمت أعمامي

«سيوف الدولة» الصيدا

وبعت لتاجر الأعلاف مكتبتي

بكيل من شعير الاتفاق مع

الجحاش النائمين

ومالى لا أسير بموكب الجمعِ

فماذا يملك الشعراء للأوطان إن خانت

سوى وأد القصائد فى ثرى الدمعِ

وما شأنى بأشباحٍ ،

تناشدنى شراب الثأرِ

حول بحيرة النومِ

وليس لدى من كبش لأذبحه ،

وما أولمتُ - طول العمر -

غيرَ مجمَّدِ اللحمِ

فما شأنى بجارية سباها الرومُ ،

لم تسمع بمأمونٍ .. ومعتصمِ

مفاتنها تباع الآن بالتقسيط فى

رمضان أو فى الأشهر الحرمِ

هو «الدولار»

يسطع فى غصون البنكِ

ويهرب من بنان الشعب ذى الضنكِ

فما شأن الفتى العربى بالهيجاء

وليس لديه فى بوأن عنجوجُ

هو المركوب فى «الباسات»

ما بين الجنادب والظرابينِ

ومُتَّهمًا

بلمس العانس الرسحاء

ومصلوبًا

بقسم الشام أو

قسم الفراعينِ

على الأطفال أطلقنا رصاص الجوع
مؤتمراً فمؤتمراً
وأغلقنا حدود السمع ،
دون مواجع الأحباب
وقمنا نقطع الأرحام فى
أعيادنا الكبرى
وقلنا ما لنا قربى
سوى أسيادنا الأغراب
فأبدلنا سلال الوَرْد
بالرجراجةِ الوِرْدِ
على أنى
أشاهد سوأة الرهط التى
كان المساس بظلها يُردى

يعريها الرعاع .. ويضحكون

ودمعى

لا يكفكفه

سوى لحدى

* *

استئناف الحكم بإعدام ابن المقفع

حُلْم

ضمَّني ضمةً ،

أخرجتْ عُجمتى من ضلوعى وقال لىَ : اكتبْ

تملصتُ من صدره هاتفًا .

سوف آوى إلى جبل الصمتِ ،

علَّ التبلّدَ يعصمنى من دسائس «سفيانَ» ،

لكنه ضمنى ضمةً ، ثم قال لىَ : اكتب

تملصتْ من ساعديه وقلت : كتاب الأمان سيغضبُ

سفّاحنا الدمويّ ، على أنه
ضمنى ثم قال : الكتابة أو
شمس أمتنا غاربة !

* *

إلى العالمِ الذئبِ سهمًا خرجتُ
فحين رأيت التعوّدَ يرتدُ بالعُرْبِ للجاهليةِ صحتُ:
الكتابة عارية الركبتين تبيح التعطر للأجنبيِّ
وللبعل رائحة الثوم فى البيت ، وهى
الخلاخل فى السوق جائيةً ذاهبة

* *

رأيت الكتابة وشمًا على أذرع الساقطين فقلت لهم :
أيها العَبْشَمِيُّونَ لن تمنعوا - بَعْدُ - جمعَ
الظباءِ عن البئر ، ها أنتمو الآن أحْذِيَةٌ
فى صوان النهار الجديد ، فهلا ذكرتم تجبركم أمس ؟!
لكنهم قهقهوا صائحين :
«فهلا نصحت الجديد بما تكتب الآن
أيتها النملة الشاحبة ؟»

* *

فى المدى كان يدنو - حصانًا يحمحمُ
يُنْبِئُنى أنه صرخة الفقراء ، وسُلَّمُ تلك الحروفِ
الشجاعة للشمس ، حين تربعَ أرضًا وراح

يرتّل ما يسّرته القواميس من سورة العتقِ
أبصرته يُخْبِئ الرِّق تحت حوافره الضاربة

* *

دعانى إليه
مددت اليدين فصافحنى بالسنابك
ثم عقدنا اتفاقًا فأركبنى ساعةً
وأركبته ساعةً فاستباح الركوب بظهرى .
سنينًا من السطوة الغالبة

* *

وحين كتبت الخطاب رآه حبالاً تقيده فاستدار إلى
تابعيه ، فقالوا :

تزندق منذ الشباب وحلت به لعنة الفكرِ

قال الأمير : خذوه

وسفيانُ يقطع من كل شلوٍ فيلقيه فى الزيتِ

والنارُ ألسنةٌ غاضبةٌ

* *

رؤيا

قال ما بيمينك يا بن المقفع ؟ قلتُ : القلم

قال ألقِ به يجمع الآن ما شتتوا

من عيون وأذْنٍ وفم

ستسمى الحِصان حصانًا

وتجعل منه مطيّتنا الطيعة

وتسمى الرجال رجالا ، وهذا الأمير الأصم

سوف يرغمه الكاتبون على أن يشاورهم

أو تسترد الجماهير بيعها الضائعة

* *

النعامات يأتين ليلا

رشوا الوجوه

ببول النفط تبتهجِ

فالكل يشربه

خمراً

بلا حرجِ

**

فَخُذُها صفقةً ،

وجماجمنا طافياتٌ ،

على سُرةِ النهرِ

لا قاربًا غير «خارون» يبلغ مرفأها

نحن نقرأها فى الجرائد

عمة هذا الفتى البنكوىّ

وخالة تاجره اللوذعىّ

وزوج شقيق الرضا الجمركىّ

فكيف يطير يمام الغدائر فى المطر اللائحىِّ

وتحت طبول التنادى لرجم القصائد

«طالما لم تكن

فى إطار المدائح

أو فى حدود الهجاء المنفث عن

غيظنا المرجلىٌّ»

إذن فلننفثْ

شآبيبَ نثر تجندل شعراً

ونفع يُبدل فى السوق ضراً

ومطلاقةٍ .. فى عقود النكاح

لكل البعول تُسجل بكراً

«مبغددةً» للسلاطين طراً

وقاهرة للحرافيش قهراً

ومغلوبةً فوق ساح الوغى

يسجلها التغلبيون نصراً

وهى تنشر هذا الكلام وأكثر

ضاحكة .. إنما

تعلبنا كالقراميط فى الثلج

تخرج أمخاخنا

وتقلبها فى حليب الفطور

وتأمر بالطاهيات يوظفننا

فى المواقد

إن الموظف كان وقوداً

وكان تقيًا

وكان غبيًا

وكان المطيع لسادته الرؤساء اللئام

إذا عوَّجوه تعرج أو

قوَّموه استقام

وإن حقرروه .. ،

فمْظلمةٌ ،

ليس تبدأ إلا بسطر التحية والاحترام

ولو جلسوا ينسفون جبال الطعام

لطاب له الصومُ عاما فعام

وظل على حاله ،

يدّعى الستر فيما يردد

ومحتسبا عمره فى المرور الذى

لا يجدد

فمن يجذب القلب تنهشه فى الشعاف النسور

وديواننا لا يصون ،

ولكن يبدد

ولا هو يعرب أسماءنا

بل يُهَوِّد

ولا هو يشهق حين يرى الدم

بين الزفير

ولا هو يبكى لغيلان يصلب فى

أول الليل أو

حين يذبح جعدٌ وصِفوانُ قبل الهزيع الأخير

* *

مذ ترمَّل جارى المسافرُ فوق

خيول البلاء

لم يجد فى قصاع الكرى

جرعةً وُفْرا

فإذا التمس الظلا

ألقت عليه غوانى النعامات جمرا

قال لى :

والنعامات يأتيننى

ينزلقن من السقف

يجلسن حول فراشى المعرَّى

ويزيِّن لى خمخمَ الزُور والإرتشاء

ويشرن إلى طفلتى الجامعية فى

الغرفة الصغرى

ها هى ذى

ترتق مئزرها الظاهرىَّ

كى يظل به السر سراً

والدمع يجرى على وجنة الداخلىِّ

فهو من ناب إبرتها قد تهرَّا

بينما يتقطع فى قدميها من الأمس

خيط الدماء

فالمسامير تنقضُّ

كالطائرات المغيرة فوق العروقِ

وترجع سالمة للحذاء

قلت : يا صاحبى

أنت نسل الذين إلى مزنة

فى الفضاء

اطمأنوا

خبأوا تحتها الكنز .

لا ريب فيه . وإن

ينسخ الوارثون

ويفنوا

نعمة تتقى

أن تَعَضَّ .. سوى خافقى

* *

نعمة تتراءى

إنها الداءُ ،

بَيْنَا تُصَيْدِلُ للبائسين الدواءا

* *

هذه نَعْمَةُ اللغةِ الناصبه

خنجرٌ ،

عاملٌ فى الخفاء

فهى تخفض من يرفع الرأس يا ابن مضاء

أو تُبَغِّلهُ ،

كى يجر لها المركبه

**

وقفت بمبنى إتحاد النصوص القديمْ

وما قلت : (هذا مسيلُكِ يا أدمعُ)

فقد كان فيه

التى أنفها أرقمٌ

والللسان خَذْرَنَقُ

والشَعْر بومْ

تعد الضغينة - مثل الشواء المتّبلِ -

بينى وبين الأشقاء لا نشبعُ

أستأذن القصائد العصماء

أستأذن الحفّاظ والقراء

والثَقَةَ الأحناف والحنابلة

أن أستعير من خباء اللبٍّ

خُطَيْبَةً ..

لصيغة مؤولة

معوذةً بالشعبِ

من هذه التى

تبيض كل صبحٍ

قنبلة

* *

هذه نعمة ،

تتجاذب نرجيلة الغمزِ

تنصح بالاعتدال

ريشها يتحوقلُ مستغفراً

وهو يقرأ مقترحاتِ الأعاصيرِ

فوق الرمال

بينما زغب النفطِ ...،

يُنبت فى إبطيها عفار الخناجرِ

لو يبذر الجائعون إلى البرِّ

« فصل المقال »

* *

ـ ما هذه البناية العالية المهتزه ؟

فقيل لى :

ـ ذاك اهتزاز الوقفة المعتزه

غمغمت : لا تعلموها مشية الإوزّه

فطمأنونى أنها تكلمت بالعدل والحرية الغُرا

فما لبثتُ ليلة جوارها

حتى كرِهتُ أن أظل أخري

فقد رأيت جدّىَ العنيدَ

ـ من يسير بالصراط ـ

يضربه السكان بالعُصِىِّ والسياط

لأجل أن يُقِرَّا

بأنهم « يعارضون الجبرا »

* *

فى رماد التضاريس نقشٌ

لنهدِ الضحى

من رآه بصدر الزمان اندهشْ

أفزعته ملوكُ الطوائف حتى انكمشْ

عصرته مماليكنا الدائمون إلى أن

تداول بين النعاماتِ

أطلقنه

حربةً

فى الغَبَشْ

* *

صدر للشاعر

* سفينة نوح الضائعة ـ مسرحية ـ المجلس الأعلى للفنون ١٩٦٤
* الحلم الطروادى ـ مسرحية ـ دار لوران ١٩٦٦
* الدين والفن ـ نقد ـ دار النهضة العربية ١٩٦٨
* الملك لير ـ مسرحية ـ دار الوادى ١٩٧٨
* ريم على الدم ـ مسرحية ـ دار الوادى ١٩٨٠
* السلطانة هند ـ مسرحية ـ اتحاد الكتاب ١٩٨٥
* غيط العنب ـ مسرحية ـ الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٥
* ليلة زفاف إلكترا ـ مسرحية ـ الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٧
* امتحان بن حنبل ـ شعر ـ المركز القومى للفنون ١٩٨٧
* غيلان الدمشقى ـ مسرحية ـ الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٠
(حازت على جائزة الدولة التشجيعية ١٩٩٣)
* حصان على صهوة رجل ـ شعر ـ الهيئة العامة للكتاب١٩٩٤
* يا أورفيوس ـ شعر ـ المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٦
* مقتل هيباشا الجميلة ـ مسرحية ـ الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٦
* هل أنت الملك تيتى ـ مسرحية ـ دار الصديقان ١٩٩٨

* آخر أيام أخناتون - مسرحية - مؤسسة حورس الدولية ١٩٩٨
* المسرح وتحولات العقل العربى - نقد - المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٨
* حتشبسوت بدرجة الصفر - مسرحية - مؤسسة حورس الدولية ١٩٩٩
* إضراب عن الماء - شعر - مؤسسة حورس الدولية ٢٠٠٠